

شواهد المفارقة اللفوية في الأدب العربي الحديث

ودعنا نتناول بعض نماذج من المفارقات في شعرنا العربي :

يقول الشاعر محمد مهدي الجواهري في قصيدة "تنويع الجياح" :

نامي جياح الشعب نامي حرسك آلهة الطعام
نامي فإن لم تشبعي من يقظة فمن المنام
نامي على زبد الوعود يزين معسول الكلام
نامي تزرك عرائس الأحلام في جنح الظلام
و ترى زرائبك الفساح مبلطات بالرخام

نامي فقد أضفى "العراء" عليك أثواب الغرام
نامي فقد أنهى "مجيع الشعب" أيام الصيام
نامي فقد غنى "إله الحرب" ألحان السلام
نامي و سيرني في منامك ما استطعت إلى الأمام
نامي على تلك العظمت الغر من ذاك الإمام
يوصيك ألا تطعمي من مال ربك في ختام
يوصيك أن تدعي المباحج والذائذ للنمام
وتعوضني عن كل ذلك بالسجود وبالقيام
نامي فنومك خير ما حمل المؤرخ من وسام
نامي فإن صلاح أمر فاسد في أن تنامي
والعروة الوثقى! إذا استيقظت تؤذن بانقصاص
نامي وإلا فالصفوف تؤول منك إلى انقسام

نامي تريحني الحاكمين من اشتباك والتحام
نامي فجردان السجون تعج بالموت الزوام
نامي على جور كما حمل الرضيع على القطام
نامي إليك تحيتي وعلبك نائمة سلامي
نامي جياع الشعب نامي حرسك إلهة الطعام

يعتمد الشاعر هنا في إدراج فكرته على المفارقة وما تحمل من دلالات .

وتبرز حدة المفارقة التي يصنهر بها الشاعر هموم الإنسان وحرته في إناء الوجود الإنساني، فنرى مفارقتة الشعرية بادية في هذه السخرية النابعة من أمره جياع الشعب بالنوم والراحة إن هي لم تشبع وأن تخذ إلى النوم والراحة على الوعود الكاذبة البراقة المزوجة بمعسول الكلام ، والتي لاتسمن جوع ولا تغني من خوف ، . وأن هذا النوم سبيلها إلى القضاء على الفساد ، وطريقها الأوحى إلى تحقيق الغايات ، وإدراك ما تريد من طموحات ، وهذا مفارق للواقع مخالف له . هي سخرية حادة لادعة تحمل المفارقة في أعلى معانيها ، فظاهر السياق هنا بخاف باطنه ، ما يقوله الشاعر ويصرح به شيء ، وما يبطن وما يريد شيء آخر . وحسبك من شاعر يمتنى الحرية والخلص لشعبه .

فقد أثار الشاعر أن يصوع مطالبته في قالب ساخر يعتمد على المتناقضات ويخير قومه بين خيارين . بين النوم واليقظة ، بين الموافقة والرفض ، بين التحرر والخنوع ، تاركاً له اختبار ما يحقق له بغيته .

وتلك دلالات واسعة المدى أفسحها أسلوب المفارقة وجلاها للناظرين .

وفي نوع آخر من المفارقة اللغوية يطلق عليه (مفارقة الموقف) .

يقول الشاعر : أحمد مطر :

لبي قصيدة (يحيى الخليل) :

- حبسوه .
- قبل أن يتهموه .
- عنبوه .
- قبل أن يستجوبوه .
- أطفأوا سيجارة في متنتيه .
- عرضوا بعض التصاوير عليه .
- قل : لمن هذي الوجوه ؟
- قال : لا أبصر .
- قصوا شفتيه .
- طلبوا منه اعترافا .
- حول من قد جندوه .
- لم يقل شيئا .
- ولما عجزوا أن ينطقوه .
- شنقوه .

- بعد شهر براؤه .
- أدركوا أن الفتى .
- ليس هو المطلوب أصلا .
- بل أخوه .

- ومضوا نحو الأخ الثاني .
- ولكن .. وجدوه .
- ميتا من شدة الحزن .
- فلم يعقلوه .

في هذا النوع من المفارقة يبدى لنا غرابة الموقف من الضحية ومن الجاني بالضحية لا تعرف سبب القبض عليها ، ومع ذلك لقي من التعذيب ما لقي فضرب وسُملت عيناه بعد وضع السجارة فيها ، ورغم ذلك طُلب منه الإخبار عن من في الصورة ، فلم يستطع لأنه لا يبصر ، عندئذ وسموه بالإنكار ثم شنقوه . وتزداد المفارقة حين يكتشف الجناة أن الذي شُئق ليس هو المقصود ، بل أخوه ، فهرولوا مسرعين للقبض عليه ، غير أنهم عادوا خائبين ، لأن الأخ كان قد مات غما وحرزنا لفقد أخيه .

أرأيت كيف تفعل المفارقة فعلها ؟ إنها تبرز مدى التباين بين الطوفقين :

مدقف الضحية وجهلها بجنائيتها ، وما اتهمت به ، وموقف الجناة وما أمعنوا فيه من التعذيب بغير جريرة ، ثم جهلهم بمن يريدون القبض عليه ، ومن خلال هذا كله آلة التعذيب لا تتوقف : تعذب وتسلم وتشنق ، ولا يدري الجناة أنهم بفعلتهم هذه يتسببون في قتل أناس غما وحرزنا على ذويهم .

ومن خلال هذا التعارض في الطوفقين : موقف الجاني وموقف الضحية تبرز دلالة المفارقة وتحقق هدفها غرضها المنشود في تجلية فكر الشاعر ومقصوده من إبراز الصراع الإنساني وما ينتاب النفس البشرية من توحش واعتداء يؤدي

بها إلى ارتكاب جريمة القتل، وسنكيل بالآخرين. وكذلك ما يصيب النفس البشرية من قهر وما يقع عليها من اعتداء وجور.

وبقول صفي الدين الحلي في قصيدة (فالت) :

قالت : كحلت الجفون بالوسن	قلت : ارتقبا لطيفك الحسن
قالت : تسليت عن فرقتنا	فقلت : عن مسكنى وعن سكنى
قالت : تشاغلث عن محبتنا	قلت : بفرط البكاء والحزن
قالت : تناسيت، قلت : عافيتي	قالت : تناعيت قلت : عن وطني
قالت : تخليت، قلت : عن جلدي	قالت : تغيرت قلت : في بدني
قالت : تخصصت دون صحبتنا	فقلت : بالغيبين في والغيبين
قالت : أذعت أسراري فقلت لها:	صير سري هواك كالعلان
قالت : سررت الأعداء قلت لها:	ذلك شيء لو شئت لم يكن
قالت : فماذا تروم ؟ قلت لها:	ساعة وصل بالوصل تسعني
قالت : فعين الرقيب نتظرنا قلت :	فإني للعـيين لم أبـن

في هذا النص الحوارى بين الشاعر ومحبوبته تبدو المفارقة في أدق صورها

فهى تبين له أنه قد غفل وزار النوم عينه ، فيبين لها أنه نام انتظارا لرؤية طيفها الجميل في نومه ، وتبين له أنه وجد سلواه وابتعد عنها فيبين لها أنه ابتعد عن سكنه وأمله ، وتقول إنه انشغل عن محبتها فيبين لها أنه انشغل بالبكاء والحزن وهكذا في طول القصيدة وعرضها يبرز الشاعر المفارقة بين ما تقوله المحبوبة - وهو متوقع من وجهة نظرها - وبين ما يقوله المحب وهو غير متوقع ، ومن هنا تأتي المفارقة التي تبرز دلالتها من خلال الحوارى في وضوح .

وفي نموذج آخر بقول نزار قباني :

أبظنني

أبظن أني لعبة في يديه
أنا لا أفكر في الرجوع إليه
اليوم عاد كأن شيئاً لم يكن
وبراعة الأطفال في عينيه
ليقول لي إنني رفيقه دربه
وبأنني الحبيب الوحيد لديه
حمل الزهور إلي كيف أردته
وصبايا مرسيومٍ علي شفتيه
ما عدت أذكر والحرائق في نمي :
كيف التجأت إلي زنديقه
خبأت رأسي عنده وكانني
طفلاً أعادوه إلي أبويقه
حتى فسأتيني التي أهملتها
فرجحت به.. رقصت علي قدميه
سامحته وسألت عن أخباره
وبكيت ساعات علي كتفيه
و بدون أن أدري تركت له يدي
لتتألم كالصفاور بين يديه
ونسيت حقدي كله في لحظة
من قال إنني قد حققت عليه

كم قلت إنني غير عائدة له

ورجعت ما أحلى الرجوع إليه

هنا يبدو اطفارفت في الحوار الداخلي - في داخل المرأة - فهي تبدو في بداية القصيدة غاضبة مصممة على القطيعة مع من تحب ، وأنها لا تفكر حتى في مجرد العودة ، لا العودة نفسها ، ثم لما جاء محبوبها تبدل الحال عندما أخبرها أنه ما زال يحبها ، وابتهجت ، حتى ثيابها التي أهملتها فرحت به ورقصت على كتفيه وتناست كل غضبها وحقدتها ، حتى للنساءل في دهشة :

من قال إنها حقدت عليه ؟ وتفيق من هذا التساؤل - الذي يحدث المفارقة

- لتعلن حبها الشديد فائلاً : ما أحلى الرجوع إليه !

والمفارقة في هذا النموذج ملموسة تصور الصراع الإنساني داخل الأنتى وتصوير العبارات والأساليب المفارقة في موقعها الرافض المصر على القطيعة والهجران قبل أن تلنقي بمن تحب ، وموقفها بعد أن النقيا وكيف تغير على النقبض ليصير حبا وتعلقا وهياما يجعله تبين أن أحلى شيء هو العودة والرجوع .

وببقى بعد هذه النماذج التي عرضناها أن نبين القيمة الدلالية للمفارقة

تكمّن في ما تحدّثه من دلالات ، وما تثيره من تفكير وإعمال ذهن للوصول إلى موضع

المفارقة ومقصودها .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- ١- الأجناس الأدبية من منظور مختلف، خلدون الشمعة، المجلة العربية للثقافة العدد ٣٢ / ١٩٩٧، ١٢٩، ١٣٥.
- ٢- العقد الفريد لابن عبد ربه، بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٩٩٩.
- ٣- المفارقة القرآنية (دراسة في بنية الدلالة)، د/محمد العبد، مكتبة الآداب ٢٠٠٦.
- ٤- المفارقة اللغوية في معهود الخطاب العربي (دراسة في بنية الدلالة)، دعاصم شحادة علي (بحث).
- ٥- المفارقة، نبيلة ابراهيم، مجلة فصول العددان ٣-٤ / ١٩٨٧.
- ٦- المفارقة وصفاتها، (موسوعة المصطلح النقلي، ١٣) دي سي ميويك، ترجمة د.عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ط٢، ١٩٨٧.
- ٧- النقد الأدبي، دكتور محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، ١٩٦٨.
- ٨- نظرية البنائية في النقد الأدبي، دكتور صلاح فضل، دار الأفاق الجديدة بيروت، ط٣، ١٩٨٥.
- ٩- نظرية التلقي، مقدمة نقدية، روبرت هولب، ترجمة د. عز الدين اسماعيل، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط١، ١٩٩٤.
- ١٠- جان بول سارتر: ما الأدب؟، ترجمة دكتور محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت ١٩٨٦.

دواوين الشعر :

- المعلقات السبع للزوزني .
- نزار قباني الأعمال الكاملة .
- شرح ديوان المتنبي للبرقوقي .

مراجع :

- ✓ المعجم الوسيط .
- ✓ لسان العرب .